ان « عرب » بيرك يقطنون خارج لغتهم ، وخارج اللغة · اين يسكنون اذن ؟ ربما كان بيرك يلمح بشيء اكثر فظاعة : ليكون المرء عربيا حقا ، يجب ان يتبدل كما هو الشأن في قصص العلم الخيالي المستقبلي · لكن لنقتصر على قوله المتناقض ، سنقبل اقتراحه هذا اذا كان يعني ان الكينونة ، بما هي كذلك ، « ضياع » للهوية · وهنا يصح لنا ، فعلا تحديدا للظل الجذري · الظل الممتاز · لكن بيرك لا يهتم مطلقا بالميتافيزيقا · انه مؤرخ اجتماعي ، وعالم اجتماع يحب العرب لنكهتهم · وهذا لغز اخر علينا ان نفكه فيما بعد ·

لنر ، عن قرب ، كيف يتيه العرب في فقدانهم لهويتهم ، وكيف يواجهون تصفية الاستعمار ، والسيطرة التقنية · وايضا ، كيف يكتب العرب الاشعار ، وينفخون في الناي ، ويحكون القصص · باختصار ، لنر كيف يعرض عرب بيرك انفسهم علينا ·

يلزم الالحاح على مسألة استمولوجية ، ترجع فيما يظهر ، الى المناخ اللذيذ للعالم الغربي : ذلك ان بيرك يترك عطور الجزيرة العربية تأتي اليه · ونتيجة لذلك (يمكنكم ان تتأكدوا في النص مما نقول) فقد اخترع بيرك ، في العلوم الاجتماعية ، تقنية الايحاء ، والمفارقة المسترعية للانتباه · انه مثل عراف حسوي ، يرمي نحونا ، من حين لاخر ، لغزا ، ثم ينتقل الى شيء اخر ، الى لغز اكثر غموضا · لا نستغرب اذا كان « عربه » قد انتهى بهم الامر الى العيش في الشبهية !

لنذكر بالسطور الاولى من كتابه « لغات عربية في الحاضر » ، الذي ننتقده مواربة في هذه المقالة · ان تلك السطور تطرح مرة واحدة المسألة الجوهرية : « لماذا العرب ؟ » يتساءل · نعم ، لماذا العرب وليس اللاشيء ؟ سنساير في مساءلته ·· لنستمع الى السؤال المباشر في شكل ثنائي رثائي :

« ــ بوسعك ان تقول دائما لماذا العرب ؟

ــ مجالات اخرى من التبسيطية ، وتواريخ اخرى للانسان ، تسمح ولا شك بمثل هذه الصياغات والامال · لكن قيامي بذلك من خلال خصوصيات نوعية ، بالنسبة لي (وبالنسبة لهم) يجعلها مليئة بالنكهة ·

ــ النكهة ؟ كنت اظنك عالم اجتماع » (ص · ٣٥٥) ·

لا يزال هناك متسع لنعطي الكلمة لبيرك ، يقول :

« غير ان الاسلام لا يتمثل في حضور المقدس من خلال السلوكات والكائنات وتقريبا داخل الاشياء ، بقدر ما يتمثل في توظيف هذه العناصر من خلال كلية للذات ، لا تكون فقط « حلوة » على حد تعبير هيجل ، بل هي حادة ومحازبة ، او في كلمة جامعة : كلية رجولية للذات · الاسلام العربي هو كلية ساخنة » (ص ١٠) ·

كيف ، اذن ، يحدث هذا الوعد ، اي هذا المناخ المتلىء ، الرجولي الساخر واللذيذ النكهة ؟

□

مرة اخرى ، نتساءل من هم عرب جاك بيرك ؟ ما هي الكلمات التي يصوغ من خلالها السؤال ؟